وقفة

عبدالنبي الشعلة abdulnabi.alshoala@albiladpress.com

حين تُستهدف الحياة.. بين مقتضيات الأمن وضرورة المعرفة

في أوقات الحروب، لا تُدار المعارك في ميادين القتال وحدها، بل تمتد إلى ميدان لا يقل أهمية، هو ميدان المعلومات؛ حيث تصبح إدارة المعلومة جزءًا لا يتجزأ من إدارة المعركة. ولهذا، درجت الدول التي تتعرض لهجمات عسكرية على انتهاج سياسة التكتم أو التحفظ في الإعلان عن تفاصيل الأضرار التي تلحق بالمواقع المستهدفة. وهي سياسة مفهومة بل ضرورية في سياقها العسكري، إذ إن الإفصاح قد يزوّد الخصم بمعلومات تساعده على تحسين دقة ضرباته في الجولات اللاحقة، فضلًا عن تجنب إثارة القلق أو الهلع في أوساط المجتمع.

هذه القاعدة تكاد تكون عامة، وتلتزم بها معظم دول العالم، بما في ذلك دولنا العربية الخليجية، التي اضطرت في ظل الظروف الراهنة إلى حظر نشر وتداول الصور أو المعلومات المتعلقة بالمواقع التي تتعرض للاستهداف، وإخضاع المخالفين للمساءلة القانونية. غير أن طبيعة التحديات التي تواجهها منطقتنا اليوم تطرح تساؤلًا مشروعًا بشأن كيفية تحقيق التوازن بين مقتضيات الأمن، وضرورة تعزيز وعي المجتمع بطبيعة المخاطر التي يتعرض لها.

فالواقع الراهن يشير بوضوح إلى أن الهجمات الإيرانية بالصواريخ والطائرات المسيّرة ضد الدول العربية الخليجية لم تعد، كما يُروّج، محصورة في أهداف عسكرية محددة، بل امتد نطاقها، بشكل أوسع، ليشمل مرافق مدنية وبنى تحتية حيوية واقتصادية ومجمعات سكنية وتجارية. أي أنها، في جوهرها، تمسّ حياة الخليجيين اليومية، وأمنهم، واستقرارهم، ومصادر رزقهم. وهو ما يفرض ضرورة رفع مستوى الوعي العام بحقيقة هذه التهديدات، دون الإخلال بالاعتبارات الأمنية.

ومن هنا، فإن الإبقاء على مستوى عالٍ من التكتم والتحفظ، دون موازنته بقدر مدروس من الشفافية، قد يؤدي - دون قصد - إلى خلق فجوة في الوعي العام، تفسح المجال لشائعات وروايات مغلوطة أو مضللة، وربما لتعاطف غير مبرر مع الجهة المعتدية، خصوصا في ظل تعقيدات المشهد الإقليمي وارتباطه - بسبب اشتراك إسرائيل في الحرب - بالقضية الفلسطينية، التي تحظى بإجماع وجداني عميق لدى الشعوب الخليجية والعربية.

ولا خلاف على عدالة هذه القضية، ولا على عمق التزام دول الخليج العربية بدعمها عبر عقود طويلة. غير أن هذا الالتزام لا يمكن أن يتحول إلى مبرر لتبرير الاعتداء على هذه الدول أو التغاضي عنه. فالقضايا العادلة لا تُخدم بازدواجية المعايير أو عبر استهداف المدنيين، ولا عبر ضرب الاستقرار في مجتمعات آمنة.

لقد برز في الآونة الأخيرة ميل لدى بعض الأصوات، في الفضاء العربي العام، إلى التشفي أو التقليل من خطورة هذه الهجمات أو تفسيرها في إطار صراع أوسع، متجاهلة أن نتائجها المباشرة تطول مواطنين ومقيمين أبرياء لا علاقة لهم بأي حسابات سياسية أو عسكرية. بل إن ما يدعو إلى القلق هو وقوع البعض في التباس غير مبرر نتيجة الربط بين الانتماء المذهبي وبعض المواقف السياسية، في حين أن الواقع يثبت أن الصواريخ والطائرات المسيّرة لا تميز بين سني وشيعي، ولا بين مؤيد ومعارض، بل تصيب حيث تصيب وتحصد الأرواح والممتلكات حيث تقع.

والأخطر من ذلك أن استهداف النظام الإيراني لمرافق البنية التحتية الخليجية - من محطات الكهرباء والمياه إلى المصافي والمطارات والمنشآت الاقتصادية - لا يعني فقط أضرارًا آنية، بل يمتد أثره إلى تعطيل حياة الخليجيين وتهديد أمنهم المعيشي، وربما إدخال مجتمعات بأكملها في أزمات إنسانية واقتصادية معقدة. كما أن التهديد بإغلاق الممرات الحيوية، كمضيق هرمز، يؤدي إلى خنق شعوب المنطقة، ويحمل مخاطر تتجاوز حدود الدول، لتطال استقرار المنطقة والعالم.

وفي هذا السياق، يبرز تناقض لافت؛ إذ كلما لوّحت الولايات المتحدة أو إسرائيل باستهداف منشآت داخل إيران، جاء الرد الإيراني بالتهديد باستهداف منشآت مماثلة في دول الخليج العربية، رغم إدراك الجميع أن هذه الدول ليست طرفًا مباشرًا في تلك التهديدات. وهو منطق يطرح تساؤلات مشروعة بشأن طبيعة الأهداف وحدود الالتزام بقواعد القانون الدولي ومبادئ حسن الجوار.

وفي خضم هذا كله، تبقى القصة الإنسانية هي الأكثر تأثيرًا والأبلغ دلالة. ففي البحرين، ما تزال الذاكرة تحتفظ بألم فقدان الشابة سارة دشتي، التي خرجت، كغيرها من الشباب، في ليلة رمضانية عادية، لتتناول وجبة السحور بعد إحياء مناسبة دينية. لم تكن في موقع عسكري، ولا في منشأة حساسة، بل في مطعم يقع ضمن مبنى مدني في منطقة حيوية بعيدة عن أي أهداف عسكرية.

لكن تلك الليلة تحولت، في لحظة، إلى مأساة. إذ أدى استهداف المبنى بطائرة إيرانية مسيّرة إلى تساقط الزجاج والحطام، ليسقط معها حلم شابة في مقتبل العمر، وتُصاب أخريات، ويُصاب المجتمع كله بجرح لن يندمل بسهولة. سارة لم تكن رقمًا في بيان، ولا "أضرارًا جانبية" في تقرير، بل كانت إنسانة لها حياة وأحلام ومستقبل.

وهكذا، عندما تصبح حياة الشعوب الخليجية ومقدراتهم وأرزاقهم مستهدفة، لا يعود النقاش حول المعلومات مجرد مسألة أمنية، بل يصبح مسألة وعي وكرامة إنسانية. فالمجتمع الذي يعرف ما يُستهدف فيه، هو المجتمع الأقدر على التماسك، والأكثر قدرة على الصمود. أما التكتم، حين يُساء فهمه، فقد لا يحمي بقدر ما يترك المجال لغيره أن يروي القصة.

من هنا، فإن المطلوب اليوم ليس التخلي عن مقتضيات الأمن العسكري، ولا كشف ما يجب أن يبقى سريًا، بل تحقيق توازن دقيق بين حماية الأمن القومي وتعزيز الوعي العام. إن هذا التوازن يمثل ركيزة أساسية لتعزيز الثقة بين الدولة والمجتمع، وتحصين الجبهة الداخلية في مواجهة مختلف التحديات.

إن المعركة، في جانب مهم منها، هي معركة وعي. ونجاحنا فيها يتطلب وضوحًا، وصدقًا، وقدرة على مخاطبة الناس بلغة تحترم عقولهم، وتحصّنهم ضد التضليل، وتعزز وحدتهم في مواجهة الأخطار؛ لأن معرفة الحقيقة كاملة، في أوقات الحروب، ليست ترفًا، بل ضرورة استراتيجية ملحة.

فيديو البلاد

تصوير: خليل إبراهيم

خسوف كاذب بأغسطس وكسوف جزئي في 2027... الفلكي علي الحجري لـ "4 أسئلة":

الفلكيون لا يتنبؤون بالمستقبل بل يفسرون الظواهر السماوية

البلاد | شيماء عبدالكريم

في زمنٍ تتسارع فيه الاكتشافات العلمية، يظلّ علم الفلك حاضراً في تفاصيل الحياة اليومية، لاسيما في تحديد بدايات الأشهر الهجرية بين دقة الحسابات الفلكية وأهمية الرؤية البصرية.

وبين دهشة العلماء من الظواهر الكونية اللافتة، وترقّب الجمهور للأحداث الفلكية المقبلة، تتكشف أيضا مجموعة من المفاهيم الخاطئة الشائعة التي ما تزال تحيط بهذا العلم، وفي الحلقة الجديدة من برنامج "4 أسئلة"، يفتح البرنامج نافذته على علم الفلك مع الفلكي علي الحجري، الذي يتناول مسألة تحديد بدايات الأشهر الهجرية بين دقة الحسابات الفلكية وأهمية الرؤية البصرية، إلى جانب استعراض أبرز الظواهر الكونية المرتقبة وتصحيح عدد من المفاهيم الخاطئة الشائعة في هذا المجال.

» كيف يحدد الفلكيون بداية الأشهر الهجرية، وهل مازال الاعتماد على الرؤية البصرية ضروريا رغم تطور الحسابات الفلكية؟

تحديد غرة الشهر الهجري يكون دائما من قبل صناع القرار الشرعي من علماء الدين الأفاضل، إذ يقتصر دورنا كفلكيين على أن نكون مساعدين أو مساندين لهم، حيث نقوم بدراسة الظروف الفلكية المتاحة، والحسابات الفلكية للقمر أو الهلال، وكذلك المكان المناسب للرصد، وبالنسبة للرصد، فإنه يعتمد على الظروف الموجودة في يوم الاستهلال، مثل الأحوال الجوية والعوامل المؤثرة بشكل مباشر أو غير مباشر، إذ يجب أخذ جميع هذه العوامل في الاعتبار، ودراسة المعيار الذي يعتمده كل صانع قرار شرعي عموما، حتى يمكن تحديد الطريقة المناسبة للرصد من بين طرق الرصد الخمسة المعتمدة لدينا، وهل هي معتمدة شرعيا أم لا.

وفيما يخص الرؤية العينية، فإن أكثر علماء الدين حتى الآن يعتمدون عليها لرؤية الهلال من قبل شهادة الشهود، بينما يستخدم القليل منهم التلسكوب أو الحسابات الفلكية، وكل ذلك يعتمد على الأسس الشرعية للاستنباط، أي أن الفلكي يقوم بدراسة طريقة الرصد وتحليلها، ثم يحدد المعيار الذي يطمئن منه.

ويمكن للفلكي من خلال الحسابات الفلكية ومراعاة ظروف الهلال كل شهر أن يحدد لكل عالم دين أو لكل معيار من معايير صناع القرار الشرعي غرة الشهر، ومن الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في تحديد اليوم، ويبقى السؤال المطروح: "من الصح فيهم؟"، والإجابة على ذلك السؤال هي أنه لا يوجد خطأ بينهم، لأن كل عالم يعتمد على المعيار الذي يناسبه، ومن خلال هذه الطريقة يتم تحديد غرة الأشهر الهجرية بدقة وفق المعايير الشرعية المعتمدة.

الفلكي علي الحجري

» ما أكثر ظاهرة فلكية أثارت دهشتك شخصيا؟

هناك العديد من الظواهر الفلكية، ولكن المميز فيهم "العدسات الثقالية"، وهي عبارة عن مجرة تكون قريبة من كوكب الأرض أو بعيدة أحيانا، وتمر من خلفها مجرة أخرى أو ثقب أسود ثاني أو مجموعة من النجوم تؤدي إلى ظهور ما يسمى بـ "حلقات أينشتاين" أو "صلبان أينشتاين" أو "أقواس"، بمعنى أنه يحدث تشوه في نسيج الزمكان لهذا الجرم، فيظهر مجموعة أقواس وحلقات، إذ يكرر الجرم السماوي نفسه، وبدل أن يكون واحدا فقط يتكرر أربع مرات، ويتفرع مستوى الظاهرة إلى ثلاث مستويات (قوي، وضعيف، ودقيق)، وكلا منها يعطي نوعا معينا من التشوه البصري الموجود لديه، وبالإمكان رؤيته عن طريق التلسكوب لساعات وأيام، وكذلك من تصوير المراصد الفضائية الموجودة خارج الغلاف الجوي، التي ترصد هذه الظواهر التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، ويرسلونها عبر المراصد الفلكية.

» هل هناك حدث فلكي قريب تنصح الناس بمتابعته؟

في بعض الأحيان تظهر ظواهر فلكية مستحدثة بشكل مفاجئ يمكن مشاهدتها مباشرة من البحرين أو أي منطقة أخرى دون البلاد، بمعنى أنه يمكن رؤيتها في مناطق معينة دون غيرها.

وبالنسبة لأقرب الأحداث الفلكية، هناك خسوف قمري كاذب يُتوقع حدوثه عند غروب القمر وشروق الشمس تقريبا، وذلك في تاريخ 27 أغسطس 2026، أما الحدث الأبرز فهو كسوف شمسي جزئي يُغطي نحو 60 % من قرص الشمس، ومن المتوقع حدوثه في تاريخ 2 أغسطس 2027. (اقرأ الموضوع كاملا بالموقع الإلكتروني)

أخبارنا بالموقع الإلكتروني

www.albiladpress.com

د. محمد صالح محمد
باحث في تاريخ البحرين الدبلوماسي

« دبلوماسية هادئة صنعت الإنجاز.. قراءة في دور محمد بن مبارك في وصول البحرين إلى مجلس الأمن وتعزيز حضورها في "الأمم المتحدة"